٨-أعلام سوداء

أعلام سوداء، أعلام سوداء في جميع أنحاء العاصمة الأم، لم يحاول حتى عدها، فقد انهمك عقل جوزيف في افكار أخرى وهو ينظر من حين لآخر جهة جودي، ليس بمقدوره تغيير ما حدث، لكن بمقدوره إيجاد حل، العلاج، عليه التوصل له بأسرع ما يمكن، لا يمكن أن يستلزمه الأمر عشرة سنوات أخرى! ستكون قد رحلت بالفعل من هذا العالم! وصلت العربات التي تحمل جوزيف وجودي و"بودير" وحراسهم أخيرا لقصر العاصمة الأم، ليجدوا رادو في استقبالهم، نزل جوزيف ثم ساعد جودي على النزول، بينما اتجه "بودير" نحو رادو محتضنا إياه بقوة، وتبعه جوزيف وجودي ليلقوا التحية هم أيضا:

"أخبرتك أن المكوث هنا لمزيد من الوقت لن يضر يا "بودير"، أنا آسف حقا"

أردف رادو موجها حديثه ل"بودير" الذي بدوره ربت على كتف الآخر بقوة وبدا وجهه شاحبا بعض الشيء، ثم وجه رادو حديثه لجوزيف:

"لم أرك منذ سنين طويلة يا سمو الأمير جوزيف، سعيد لرؤيتك الآن، أتمنى لو كان ذلك بتوقيت أفضل."

أومأ جوزيف بوجه مرهق ثم أكمل رادو:

"ليرقد عمكما الملك الراحل بسلام"

ألقى رادو التحية على جودي كذلك التي ابتسمت بدورها على سبيل رد التحية، ثم ساروا جميعا ليدخلوا القصر:

"يبدو عليكم الإرهاق، يجدر بكم الراحة"

قال رادو ليجيبه "بودير" بجدية:

"كان علينا السفر أسرع من ذلك؛ فقد فاتتنا الجنازة، جدر بي الاستماع لك يا رادو وعدم الرحيل من البداية، علِّي رأيت عمي في آخر ساعاته"

"لم تكن لتعلم يا "بودير" أنه سيموت الآن، فحتى أطباؤه تفاجئوا بذلك الخبر"

حاول رادو تهوين الأمر على "بودير"، لكن جوزيف لم يهتم لهما، ولم يشعر بالحزن حقا لموت عمه، أراد أن يصدق ندم أخيه، لكن ربما على "بودير" الندم حيال أمور أخرى، لم تذكره ذكرى عمه أو أي شيء حيال أخيه سوى بصورة تلك الفتاة تبكي، تبكي بحرقة، بعدما خسرت كل شيء بسبب عمهما و"بودير"، بينما أكملا هما حياتهما، وانتحرت الفتاة في النهاية، حينها لم يستطع جوزيف أبدا التعامل معهما أو رؤيتهما كالسابق، مازال يحب أخاه، لكن ما فعله "بودير" كان أبشع من أن يُنسى، في أثناء تفكير جوزيف لمح شخصا ما يقف خلف إحدى النوافذ وينظر جهتهم، لم يدرك من يكون في البداية، لكن ذلك سرعان ما تغير إثر تمعنه، فقد عرف هويتها، بشعرها الأصفر الطويل الذي يميل للبياض منه للذهبي، وبعينيها العسليتين وبنظرتها الحادة، كم هو غريب حقا تلك الملامح، لم تختلف كثيرا مع مرور الزمن، ربما أضيفت لها تلك النظرة الحادة فحسب، لكن

كل شيء آخر تغير، الطباع، المبادئ، المشاعر، أشاح جوزيف نظره عنها ودخل القصر. لم يمرَّ وقت طويل حتى حل الليل، أوصل جوزيف زوجته لغرفتها، بينما لم يعلم إلى أين ذهب أخوه، اتجه عقب ذلك برفقة حراسه لأحد المستشفيات الموجودة بالمدينة، لم تكن بكبر تلك القريبة من عاصمة ليس الكبرى، ولم يبدُ أن هناك كثيرٌ من العاملين بها، لكن جوزيف أراد أن يرى بنفسه جزء مصابي المرض الأزرق الذي وصله خبر من عمه أنه شرع في إنشاءه منذ ما يقرب العامين، دخل جوزيف ذلك المستشفى، لكنه لم يجد أحدًا يستطيع سؤاله حيال أي شيء، فقد بدا شبه مهجور في ذاك الوقت، سوى من بضع مصابي حمى أو بعض الكسور، تجول جوزيف بالمكان حتى وجد رجلًا أشيبَ يرتدي زي الحكماء، تساءل جوزيف:

"من فضلك أيها الحكيم، أين يقع الجزء الخاص بمصابي المرض الأزرق في هذا المكان؟"

أجاب الرجل الأشيب بصوت وهن قليل:

"تبدو بهي الطلة يحيط بك الحراس، أأنت أحد معاوني الأسرة المالكة؟"

"إنك تخاطب الأمير جوزيف ابن عم الملك الراحل وحاكم (ليس الكبرى)!"

أردف أحد حراس جوزيف بنبرة جامدة.

"س.. سمو الأمير، عفوا، فلم يحدث لي الشرف بمقابلتك من قبل.. لو فقط علمنا بقدوم سموك لرصصنا الورد بالمكان"

بدت نبرة الحكيم مجاملة، أومأ بتفهم جوزيف مظهرا ابتسامة زائفة ثم كرر سؤاله:

"سررت بلقائك أيها الحكيم، أود أن أعلم أين تبقون الجزء الخاص بمصابي المرض الأزرق؟"

"أأأ.."

بدا الحكيم متوترا بعض الشيء ثم أجاب:

"ل.. لقد ظننت أن كل الأسرة الملكية تدري، لقد، لقد توقفنا عن إنشاء ذلك الجزء بأوامر ملكية منذ ما يقارب العام.."

"ماذا؟!"

تساءل جوزيف بتعجب غير مصدق، حيث إن كل ما وصله هو أنهم ينشئون ذلك الجزء دون توقف، ولم تصله أيَّة خطابات تخطره بما يقوله الحكيم الآن، أردف جوزيف بغضب واستنكار:

"هذا غير ممكن! الملك الراحل هو من أصر على محاولة علاج مصابي المرض الأزرق بالعاصمة الأم أيضا، كما لم تصل أي أخبار بخصوص التوقف عن إنشاء ذلك الجزء!"

ازداد توتر الحكيم:

"سموك لقد كانت الأوامر أن التوقف سيتم لفترة؛ لذا فيجدر بنا إخبار من يسأل من العامة أو أي شخص ليس من جنود الملك الحالي دومين أن ذلك الجزء مازال تحت الإنشاء"

"الملك دومين؟!"

تساءل جوزيف غير مستوعب ما يحدث.

"أجل سموك فالتوقف عن الإنشاء صدر من الملك دومين، لذا ظننت الأسرة الملكية تعلم بخصوص ذلك الأمر"

لم يجب جوزيف بل داهمته التساؤلات، عديدٌ منها، لم يأتِ للعاصمة الأم منذ فترة طويلة، ولم يدرك حقا ما الذي يحدث هنا، لم يهتم حقا، كل ما فعله لما يقارب العشر سنوات هو محاولة إيجاد علاج، يبدو أنه في سبيل ذلك عزل نفسه عن كل ما حوله، وصار أشبه بمن يعيش أسفل صخرة، لا يعرف حقا ما الأحداث الجارية أو أسبابها، لماذا قد يفعل دومين ذلك؟! لقد كانت خطوة لا بأس بها في نشر أماكن رعاية مصابي المرض وزيادة محاولات إيجاد علاج، لا منطق من إيقاف دومين لكل ذلك، حتى إن دومين لم ينشر خبر إيقافه لإنشاء جزء بالمستشفى للعناية بمصابي المرض الأزرق، لابد أنه علم أن الملك الراحل كان ليعارض دومين ويكمل إنشاء ذلك الجزء، لكن لماذا؟! لماذا فعل ذلك؟! عاد جوزيف للقصر ولغرفته جالبا معه تساؤلاته المتزايدة، لم تكن جودي موجودة بالغرفة، بدا أنها تقف بالشرفة فقد كان باب الشرفة غير مغلق، أخرج جوزيف من أحد الحقائب التي أتت برفقتهم من عاصمة ليس الكبرى زهرة زرقاء، كان قد أصابها بعض الذبول إثر تخزينها في الحقيبة طوال تلك الرحلة الطويلة، لكن مع الأسف لا توجد أزهار زرقاء في المملكتين سوى بليس الكبرى، دخل

جوزيف الشرفة ليجدها واقفة هناك تلف وشاحًا حول ذراعيها مسندة إياهما لسور الشرفة وهي تتأمل أضواء المدينة ليلا.

"ظننتكِ ستكونين نائمة.."

أردف جوزيف بينما هو يسند ذراعيه لسور الشرفة ويقف بجوارها.

"ظننتك لن تعود الآن، ولكني حاولت الانتظار على أيَّة حال ككل مرة"

لماذا هي دوما تحزن لتأخره؟! إنه يحاول القضاء على شبح يحاوط هاتين المملكتين منذ ما يقارب السبعمائة عام، إنه يحاول فعل ذلك لأن ذلك ما تمناه ابنهما الراحل، ولأجلها، فقد تمكن ذلك الشبح منها هي الأخرى، لم يُجِبْ جوزيف، بل ناولها الزهرة الزرقاء، تأملتها جودي قليلا ولم تعقب.

"أعتذر عن كونها غير نضرة فكما تعلمين لا يوجد أزهار زرقاء هنا"

"جوزيف، هل أتيت بها برفقتنا من عاصمة ليس الكبرى؟"

أومأ جوزيف ناظرا للأفق للمدينة أمامهم، مفكرا كم من بيوت بها؟ وكم من تلك البيوت كان بها على أقل تقدير مصاب واحد بالمرض الأزرق؟

"ليس عليك فعل ذلك يا جوزيف، ليس عليك إهدائي دوما زهرة زرقاء كما كان يفعل ابننا، فطفلنا قد رحل منذ عشرة سنوات، قد آلمني ذلك. لا يمكنني أن أصف لك مقدار ذلك الألم، لكني في النهاية تعايشت مع حقيقة رحيله، وأتمنى أن تفعل أنت أيضا ذلك الشيء."

نظر لها جوزيف بنصف ابتسامة مردفا:

"أعلم أنه قد رحل دون عودة يا جودي، أدركت مدى معرفتي بذلك حين عرض عليَّ ذلك السجين الذي أخبرتك عنه في أثناء رحلتنا أن يحقق لي أمنية أبغيها حقا، علمت ما هي، ولسبب ما شعرت أن ذلك الرجل يستطيع فعلا تحقيقها، كنت على وشك نطقها لكني توقفت، توقفت حين أدركت أن ابننا ذهب للأبد، لا يمكنني التشبث بأمل رؤيته في هذه الحياة مرة أخرى، ولكن يمكنني أن أدفع نفسي مرارا لمنع تكرار ما حدث له أن يحدث مع أي شخص آخر، وأن أخلد ذكراه وهو يخبرني أننا سنجد علاجًا لذاك المرض سويا، حتى لا آكل ولا أتوقف أبدا عن محاولة البحث عن علاج حتى مع آخر نفس أستنشقه.."

نظرت له جودي بحيرة يجتاحها الحزن، ثم لمح عيونها الزرقاء تتلألأ بضوء القمر، يا للهول كم هي جميلة، لم يدرك منذ وقت طويل كم هي جميلة بهذا الشكل، لم يدرك أن حتى بعد موت ابنهما أن قلبه مازال ينبض بحبها، وليس فحسب بالوصول لهدفه الذي يسعى إليه، لا يمكنه تخيل أنه قد يفقدها هي الأخرى بسبب ذلك المرض! حينها سيصير كذلك المريض رومان، لن يتبقى له شيء حقيقي في هذه الحياة. فجأة رأى جوزيف جودي تبكي، تبكي دون صوت، لم يدرك ما الأمر حتى وجدها تتساءل بصوت هامس:

"جوزيف هل توقفت عن حبي منذ موت ابننا؟"

أهذا ما تعتقده؟! أذلك ما جعلها تحزن لتأخره الدائم وسعيه للقضاء على المرض الأزرق؟! لن ينكر أن كل ذلك جعله يهملها دون أن يقصد، لكنه لم يدرك

أنه يفعل ذلك، لم يدرك حتى علم بمرضها، كم هو نادم الآن! أمسك جوزيف بيدها، لكنها لم تنظر إليه وظلت تبتعد بعيونها عنه بقدر ما تستطيع محاولة إخفاء عيونها الدامعة.

"جودي من فضلك انظري لي.."

لكنها لم تفعل ذلك، رفع جوزيف يده لوجنتها محركا وجهها برفق ليصير مواجها له، تنهدت جودي وظلت موجهة نظرها أبعد ما يكون عنه، أردف جوزيف بنبرة نادمة:

"إنه أنا من يتوجب عليه تحاشي النظر إليك إن كانت أفعالي تسببت في جعلك تعتقدين أني توقفت عن حبك."

نظرت له جودي بعينين حائرتين، ابتسم لها جوزيف ثم أومأ:

"أتتذكرين ذلك اليوم منذ ثماني سنوات حين وصلنا الخبر، خبر مفارقته الحياة، حسبت أني في أبشع كابوس قد يراود أي إنسان، رأيت جسده الهامد ووجهه الذي يبدو كأن حيوانًا قد التهم جزءًا منه بسبب المرض. رأيت بكاءك غير المنقطع، أتذكر حينها وقوفي أمام تلك النافذة الضخمة بإحدى الغرف، لم أدرِ متى أو كيف وصلت لها، كل ما أعرفه أني لطالما وقفت أمام تلك النافذة مشاهدا إياه يلهو في الحديقة، ومفكرا في مستقبله الباهر، لكن ليس ذلك اليوم، ذلك اليوم لم ينشغل تفكيري سوى في كَمْ أنَّ تخطِّي تلك النافذة للحديقة من حيث أقف يبدو شيئا مغريا للغاية، وليس عليَّ سوى القفز من حيث أقف فحسب، ثم ربما ينتهي كل هذا الكابوس وأستيقظ لأجده يلهو مجددا في الحديقة."

ظهرت معالم الدهشة والانكسار على وجه جودي؛ فجوزيف لم يتحدث بهذا الأمر لها مطلقا، بل في الواقع لم يتحدث لأي شخص عن ذاك الأمر، أكمل جوزيف بصوت يغزوه بعض الأمل:

"ثم لمحت زهرة زرقاء وتذكرت كل شيء، أول مرة التقيت بكِ حين لم نكن سوى غريبين لا يكنان لبعضهما سوى الاحترام، ولكننا جمعتنا رقصة، حين تم إخبارنا أننا سنتزوج وفوجئنا، فقد كان كل منا لشخص آخر، أول مرة تسابقنا بالأفراس وضحكنا سويا، حين أمسكت بيدك للمرة الأولى وتظاهرت أنت بأنك تتأملين شيئا ما وغير شاعرة بإمساكي ليدك، لكني لمحتك تبتسمين، حين رأيتك نائمة للمرة الأولى ورأيت كم بدوتِ ملائكية، حين رقصنا سويا مجددا وهمستِ بأذنك أني أحبك، ثم في نهاية الحفل همست في أذني أنك تبادلينني المشاعر نفسها، حين علمنا أننا سنلد طفلًا وفكرتِ أنتِ بخمسة وعشرون اسمٍ، لو كانت طفلة، وفي أحد عشر اسمٍ لو كان صبيًّا، حين رأيتك بعد إنجابك لطفلنا تحملينه، وتنظرين لي بعيون تبكي سعادة بدوتما حينها مَلَكَيْنِ، حين تتحمسين قبيل تناولك لكعكة التوت، حينما تلمع عيناك وأنت تتحدثين عن شبه جزيرة لونا وعظمتها، حين تنسين كل ما حولك تماما وأنت تعز"فين" على أوتار القيثارة، حين تضحكين بسعادة في كل مرة يهديكِ ابننا زهرة زرقاء، تذكرتك يا جودي"

كانت جودي تنظر له الآن بدهشة شديدة.

"لقد أردت الهروب يا جودي، الهروب من واقع أني لم أستطع إنقاذ ابننا وشاهدته يموت ببطء أمامنا، لكني لم أستطع حين تذكرتكِ، وتذكرت مقدار

حبي لك حتى قبل مجيء ابننا لهذا العالم الذي لم تبدل الظروف ذلك بل زادته، لذا أعتذر، أعتذر بشدة إن جعلتك تشعرين بغير ذلك.."

أغمض جوزيف عينيه وابتلع جوفه ثم احتضن جودي التي تشبثت به بقوة مريحة رأسها على كتفه وهي تنتحب.

"أنا حقا ممتن لوجودكِ بحياتي."

*****

يشعر جوزيف أحيانا، بل كثيرا، أنه لا يدري كيف وصل حيث يوجد، فلم يدرِ متى استيقظ وبدل ملابسه ووصل إلى غرفه الطعام برفقه جودي، وجلسا يتناولان إفطارهم متجاذبين أطراف الحديث، تناول "بودير" كذلك فطوره على الطاولة نفسها على الرغم من استياء جوزيف من ذلك، إلا أنه لم يفصح عن ذلك سوى بنظرات جدية صوب "بودير" حينما يتوجه "بودير" بالحديث صوبه، لم يمر كثير من الوقت حتى شاركهم رادو، ثم استأذنت جودي لقضاء بعض الأشياء.

"إذن، رادو ألديك أيَّة فكرة عن التوقيت الذي سنقابل الملك دومين به؟" تساءل جوزيف.

"عصر اليوم، لكن لمَ العجلة، يا سمو الأمير جوزيف؟ ألا تريد التمتع أولا قليلا، هناك عديد من المبارزات وسباقات الخيول سُتقام، ألا تحب أن تحضرها قبل البدء في الجدية؟"

"فلتستمتع أنت يا رادو بتلك الأمور عوضا عني، فلدي أمور أخرى أهم تشغل تفكيري"

"المرض الأزرق لن يذهب لأي مكان يا سمو الأمير جوزيف، حضور مناسبات ممتعة كتلك سيسعد الأميرة جودي أنا واثق"

شعر جوزيف بالسخط من تدخل رادو غير المبرر، هم أن يجيب لولا تحدث "بودير":

"جوزيف يضع علاج ذلك المرض قبل أي شيء يا رادو، وهو محق تماما بذلك، المناسبات ممتعة، لكن إيجاد علاج لذلك المرض أكثر أهمية"

"لم أتوقع أن أسمع ذلك منك يا "بودير""

أردف رادو، وللحق لم يتوقع جوزيف كذلك سماع ذلك من أخيه، ربما "بودير" مازال يحاول جعل جوزيف ينسى ما فعله في الماضي كمحاولته في عاصمة (ليس الكبرى)، تحدث جوزيف:

"المناسبات الممتعة لن تذهب لأي مكان يا رادو، لكن تأخر إيجاد علاج للمرض الأزرق سيؤدي إلى مزيد من الوفيات فحسب"

بدا البرود على رادو لكنه أومأ في النهاية. شعر جوزيف بمن يضع يده على كتفه فاستدار ليراه، ليجد "نايلس" يقف خلفه مبتسما له، كان جوزيف على وشك الوقوف وإلقاء التحية عليه، لولا أن "نايلس" أردف سريعا:

"لا بأس، أكملوا طعامكم لم أقصد المقاطعة، جئت لألقي التحية سريعا فحسب، فلا يفصلني عن العودة لعاصمة المملكة الغربية سوى ساعات فحسب"

أومأ جوزيف متفهما ثم قال:

"سعدت لرؤيتك يا "نايلس"، لم أركَ منذ زمن طويل"

"أنا كذلك يا جوزيف سعيد برؤيتك، فربما لن يتكرر ذلك لوقت طويل للغاية"

أردف "نايلس" ثم نظر ل"بودير" محييا إياه.

"بودير"

"نايلس"

كان "نايلس" معتدل الحجم، ليس مفتول العضلات أو قوي البنية، بل على العكس، فهو سمين بعض الشيء، يبدو كشخص عادي تماما، ذو شعر أسود يصل حتى عنقه يجمع بعضه في جديلة، وعلى عكس أغلب إخوته، لم يبدُ على "نايلس" صغر السن، هو أوسط إخوته، لكنه بدا كما لو أنه أكبرهم بالسواد المحيط بعينيه الحمراوتين اللتين تبدوان باهتتين، عكس أخته "أنستازيا" التي تبدو عيناها حمراوتان كالدم، ظهرت كذلك بعض التجاعيد على وجهه، ودوما يبتسم ابتسامة باهتة يظهر خلفها إجهاد أو حزن، بالنسبة لشخص من ذوي العيون الحمراء، ف"نايلس" شخص ودود للغاية، لكن مع الأسف، نعته بعضٌ بالضعيف خاصة لتركه لأخته "أنستازيا" تتحكم ببعض شئون المملكة الغربية، وتدخلها فيما لا يعنيها، لولا كون سيلين زوجة "نايلس" تلتزم بالعقاب

والقانون بحذافيرهما وبشدة، لصارت "أنستازيا" تتدخل في كل شيء لتخربه فحسب، لم يعهد جوزيف ذلك بل سمع عنه فحسب؛ فهو لم يعِش في القصر الملكي في عاصمة المملكة الغربية كثيرا، فقد صار الواصي على (ليس الكبرى) قبل أن يصير "نايلس" الواصي على المملكة الغربية، نظرا لكبر سنه عن "نايلس"، لم يبقَ "نايلس" سوى بضع دقائق فحسب، سألهم فيها عن أحوالهم وأحوال (ليس الكبرى) ثم انصرف.

"لديه ما يكفي من الذوق للمجيء وإلقاء التحية، ماذا عن دومين الذي استدعانا لأمر هام للغاية، وميستريو الذي هرع للمملكة الشرقية برفقة أبنائه ولم يستطع الانتظار لمدة يومين فحسب لكي يستقبلنا"

أردف "بودير" ليرد عليه رادو متسائلًا:

"وماذا عن الأميرة دورسيرا؟"

"لابد أنها منشغلة للغاية لهذا لم تستطع الترحيب بنا"

قهقه رادو.

"أجل، أنا أيضا متأكد من ذلك."

"ما المضحك بالأمر؟"

بدا "بودير" ساخطا من رادو، وقد علم جوزيف سبب ذلك، ألن يتوقف "بودير" أبدا عن إعجابه بها؟! فإعجاب أخيه بدورسيرا كان سبب ما اقترفه من إثم في الماضي، فكر جوزيف باستنكار.

"بودير"، لن أكذب عليك، أنا أحب أطفالها مثلك تماما، لكن سمو الأميرة دورسيرا نفسها، إنها فقط.. كيف أصيغها بشكل لطيف؟ أجل صارمة للغاية"

"إنها فقط لا تتظاهر بالرقة المبالغ فيها والبلاهة كبعض الأخريات، انظر إنها ابنة عمي وأنا أحترم أسبابها لتكون جادة في تصرفاتها.."

"أتعلم، أنت محق فجميعنا ندرك تماما أنك تراها فحسب ابنة عمك."

أردف رادو ل"بودير" رافعا حاجبيه.

"أتعلم ماذا يارادو، لو كنت أحمل سيفي فحسب لقتلتك بالفعل وأرحت العالم من سخافاتك.."

لم تمر لحظات حتى ابتسم كل من "بودير" ورادو لذلك، لم يدرك جوزيف حقا كيف هذان صديقان بأي شكل من الأشكال، فلا يبدو من حديثهما سوى إغاظتهما لبعضهما بعضا بصورة أو بأخرى، تساءل جوزيف:

"رادو، أخبرني عما يحدث هنا في العاصمة؟"

"أجل رادو، أخبرنا بما يحدث، يبدو أنهم يبنون دفاعات ما حول المدينة، وكذلك رفضوا إدخال جميع جنودنا برفقتنا لداخل المدينة"

"هذا حقيقي فهم يحصنون المدينة، ضد ماذا؟ لا أدري؟!"

أجابهم رادو ليقاطعه "بودير" مستهزأً:

"لا تدري؟!"

أكمل رادو

"لا أدري بعد!، قالوا أن عدم دخول عدد كبير من جنودكم لدواعٍ أمنية، كما أن الملك أمر بزيادة عدد جنود جيشه وتدريبهم جيدا"

سأله "بودير":

"لماذا تعتقد ذلك؟ أهناك من يشن حربا ما ضدنا؟!"

"يحتمل بسبب أن الملك يريد توحيد بلادنا مع شبه جزيرة لونا، أنا متأكد أنه يريد تزويج ابنته لأمير ما هناك، لكنه لا يريد إقامة تحالف فحسب كالقائم بالفعل بسبب المعاهدات بيننا وبينهم، أو كالتحالف القائم بسبب زواجك يا سمو الأمير جوزيف من الأميرة جودي"

قالها رادو ناظرا لجوزيف ثم أكمل:

"بل إنه يريد جعل شبه الجزيرة وبلادنا كيانًا واحدًا، أعتقد أنه لهذا يقوي الجيش ويكبره"

"ليحاول احتلال شبه الجزيرة بعد تزويج ابنته؟!"

تساءل "بودير".

"أو ليحاول إعادة جزر راندوس لحيازة شبه الجزيرة، حينها سيوافقون على كل ما يطلبه، لكن كل هذه افتراضات سأتأكد صحتها قريبا"

عم الصمت قليلا حتى قاطعه "بودير" مردفا:

"إذن رادو أخبرني ماذا عن دورسيرا وأطفالها؟"

"كما هم، دورسيرا لا يعلم أحد ما تفعله أو لمَ تخطط، وتستعين دوما بذلك الملقب بساريو، الأميرة الصغيرة ثنسيا تحاول جاهدة العثور على وحيد القرن."

ابتسم كل من جوزيف و"بودير" بينما أكمل رادو:

"الفتى القوي فحسب هو من تغيرت طباعه، وصار شغوفًا بالقراءة والتواجد بالمكتبة، لذا قررت تغيير لقبه للفتى القارئ"

"ماذا عن عمي يا رادو؟"

تساءل "بودير".

"ماذا تعني؟"

"ظننت بحالته الصحية تلك أنه سيتسنى له العيش لبعض الشهور"

أردف "بودير" بحيرة، للمرة الأولى قرر جوزيف أن أخاه محق بخصوص ذلك الأمر؛ فقد علم جوزيف كثيرًا عما يخص الأمراض لفترة تعامله الطويلة مع المرضى والحكماء والعلماء، تحدث جوزيف:

"حسب كلام الأطباء الذين اختلطت بهم في أثناء محاولاتي في إيجاد علاج للمرض الأزرق، فكلامك صحيح يا "بودير""

نظر "بودير" لجوزيف باندهاش بعض الشيء، لأنه وجه له كلامًا من الأساس، أجابهم رادو:

"لكن يا سمو الأمير جوزيف، عمكما الملك لم يكن مصابا بالمرض الأزرق، فقد عانى من مرض متعلق بالشيخوخة"

"بالطبع، أعلم ذلك يا رادو، لكن هؤلاء الأطباء موسوعة في الأمراض المختلفة"

أومأ رادو بتفهم بينما تساءل "بودير" بسخط:

"كيف حدث الأمر؟ كيف توفى بتلك السرعة؟"

"استيقظنا في يومٍ لنجد من في القصر ينوحون، ودومين يعلن وفاته، ودورسيرا كما هي بنظراتها الحادة، بينما كل من ميستريو و"نايلس" يمدان فترة تواجدهم بالعاصمة، تعلم، لأنهم كانوا يحبون أباهم الغالي.."

قالها رادو بسخرية، شعر جوزيف ببعض الفضول للمرة الأولى حيال ذاك الأمر فتساءل:

"رادو من فضلك أخبرني كيف بدا الملك حينها؟!"

"كما يبدو أي ميت، لا شيء غير طبيعي، نائم فحسب"

استأذن أحد جنود جوزيف بالدخول حيث كان يحمل خطابا لجوزيف، سمح له جوزيف بالدخول ثم أخذ منه الخطاب، أخذا "بودير" ورادو في إغاظة بعضهما بعضا بكل طريقة ممكنة، بينما فتح جوزيف الخطاب وقرأ بدون صوت، كان مبعوثًا من عاصمة (ليس الكبرى) من أحد أهم معاونيه ومستشاريه إن لم يكن الأهم وهو (شادو)، كتب له في الخطاب أن السجين على حاله، فهو لا يستجيب لأيّة أسئلة، ولا يقبل المساعدة ولا ينطق سوى بجملة "أخبر أميرك أن الموت يشغل البشر بما فقدوا حتى يسرق ما لديهم"، أكد عليه شادو بمحاولة العودة سريعا لـ(ليس الكبرى) وأنهم يقومون بأقصى ما لديهم لجعل السجين

ينطق بأيَّة معلومة مفيدة، وكذلك لمحاولة إيجاد علاج سريعا كما أمرهم تماما، أغلق جوزيف الخطاب باديا عليه الانزعاج. فكر رادو قليلا ثم قال بسخرية:

"أتدري، ربما كان هناك شيء غريب بالفعل حيال موت الملك، وهو غباء الخادمات هنا؛ فقد لُطخ غطاءه ببعض الحبر، إذا جاء اليوم الذي يجعلني فيه المرض جليس الفراش، فأحرص على تعيين خادمات يتسمن بالذكاء يا "بودير""

"مت فحسب وسآمرهم بحرق جثتك"

أجاب "بودير" بملل، على الرغم من انشغال عقل جوزيف بكثير من الأشياء، إلا أن ما قاله رادو أثار مزيدًا من الفضول والتساؤلات، بضع قطرات حبر قد تبدو شيئا أحمق، لكن جوزيف خلال فترة تواجده في العاصمة الأم، في أثناء صغره طالما عهد شيئين بخصوص عمه الملك الراحل، أولهما حرصه على أن يكون حتى أصغر الأماكن بالقصر نظيفًا، ومن أسباب ذلك هوس ابنته دورسيرا بالنظافة المفرطة، حتى إن كان المكان نظيفا للغاية، قد يُهيأ لها وجود أوساخ، وخاصة أوساخ الطعام، وثانيهما هو عدم كتابة عمه لخطاباته وهو جليس الفراش حتى في أحلك أوقاته.

*****

لم تتغير تلك القاعة، ربما الموجودات بها تغيرت قليلا، لكن في العموم هي كما كانت، واسعة، ذات سقف عالٍ وثلاثة نوافذ عملاقة، لم يُسمح لجوزيف بدخولها كثيرا، ولا لأي من أبناء الملك ليكون صادقا، ربما دومين ودورسيرا هما

من خالفا تلك القاعدة قليلا، فقد كانت تلك هي القاعة التي يجتمع بها الملك بمستشاريه لأخذ قرارات تخص مملكتيه والعاصمة الام؛ لذا لم يستطع رؤية تلك القاعة سوى خلسة عند عدم تواجد أحد بها، وذلك في صغره فقط حين كان طفلًا فضوليًّا بعض الشيء، لكن حينما رشد لم يعد مهتمًّا بذلك، بالطبع دومين حُقَّ له حضور تلك الاجتماعات لكونه الملك المستقبلي بعد والده، لكن جوزيف يعتقد أن عمه لم يعجبه فعل دومين لذلك، ولكن على صعيد آخر، فعمه كان هو من يدعو دورسيرا لحضور بعض تلك الاجتماعات، بل ويهتم لآرائها، حقا لم يدرِ جوزيف في كثير من الأحيان كيف كان يفكر عمه، حتى توصل جوزيف في النهاية لاستنتاج بسيط؛ وهو أن عمه ربما كره جميع أبنائه عدا ابنته الأولى دورسيرا التي نالت حبه بأكمله، ربما لم ينل جميعهم كره متساوٍ، فقد كانت "أنستازيا" هي من حصلت على النصيب الأكبر من ذلك الكره، ربما ميستريو هو من حصل على النصيب الأقل، لكن ذلك لا يغير حقيقة أنه كرههم جميعا عدا دورسيرا، أفعاله، قراراته، تعاملاته، كل شيء أظهر ذلك، فمن يعطي ابنته الكبرى جزءًا كبيرا من أراضي المملكة الشرقية، لتكون ملكها وملكًا لأبنائها من بعدها، وليست أي أراضٍ أو مدن، بل الأراضي والمدن المتواجدة على طول النهر، ففعليًّا هي المتحكمة في أغلب المملكة الشرقية، لأنها المتحكمة في فرع النهر الزجاجي، وأصدر عمه الملك الراحل قرارًا رسميًّا بذلك، لا يجد جوزيف مشكلة في ذلك بقدر تساؤله، وماذا عن إخوتها؟! لم يكن الملك غير عادل له ولأخيه "بودير"؛ فقد أعطاهم نصف المملكة الغربية متمثلة في (ليس الكبرى)، لكن باقي أبناء عمه

ليسوا سوى دمى حقيقة الآن في يد دومين، إذا أراد إبعاد أي منهم عن منصبه فسيفعل ذلك في التو واللحظة، بينما دورسيرا تمتلك قوة حقيقة في يدها، لهذا لم يستعجب جوزيف حين رآها جالسة خلف تلك الطاولة بجوار دومين داخل القاعة، على الرغم من أن ما وصله هو أن دومين يريد التحدث معه هو و"بودير" بخصوص أمر هام يخص المملكتين، فلمَ هي موجودة إذن؟!

"اجلسا"

قالها دومين لجوزيف و"بودير" بدون أي مقدمات أو ترحيب، وعلى وجهه نظرة جدية، بينما دورسيرا لم تخفِ حدتها المعتادة، فقط زينتها في ابتسامة مزيفة.

"نتعذر يا جوزيف ويا "بودير" على عدم استطاعتنا على الترحيب بكما من قبل، ولكن ها نحن ذا نرحب بكما، نحن سعيدان للغاية لحضوركما"

اردفت دورسيرا ليجيبها "بودير" سريعا:

"لا بأس، فنحن ندرك كم المسئوليات الواقعة على كاهلك في الوقت الحالي"

"بالطبع"

لم يعقب جوزيف على كلامها، أومأ وابتسم فحسب، بدا أن دومين أراد تخطي المجاملات والتحدث فيما استدعاهم لأجله قائلا بجدية:

"لنتحدث فيما طلبت منكما أن تأتيا لأجله"

توجه نظر كل من جوزيف و"بودير" له، بدا على "بودير" الاستياء بعض الشيء بسبب أسلوب دومين الخالي من الذوق، وكذلك استاء جوزيف، لكنه حاول أن يكون عمليا ويتغاضى عن ذلك، أكمل دومين بأسلوبه نفسه:

"لن أبدأ بمقدمات أو بخطب فما حدث، ما اقترفتماه لهو فعل مشين، مشين أكثر من أن يتم غفرانه!"

تساءل جوزيف بتعجب:

"عمَّ تتحدث مولاي؟!"

"يا حراس، أدخلوه!"

صاح دومين بصوت عالٍ، ليدخل حارس مصاحب.. مصاحب لـ.. لم يصدق جوزيف ما رآه، فمن دخل برفقة حارس دومين كان هو الحارس الذي وكله جوزيف بمهمة إحضار السجين لعاصمة ليس الكبرى! لكن هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًّا! فهو يعرف ذلك الحارس جيدا ويثق بولائه، إذن كيف؟! تحدث دومين آمرا:

"افصح عما أخبرتني به من قبل أيها الحارس الليسي!"

بدا التوتر على الحارس ولم ينظر أبدا لعيني جوزيف، وهو يخبرهم بما أتى لأجله:

"سـ.. سمو الأمير جوزيف أوكلني بنقل سجين من القارة المجمدة لعاصمة ليس الكبرى و.. وهذا السجين تدور حوله عديدٌ من الشائعات بأنه

يمارس السحر الأسود ويشفي الأمراض، وذلك في محاولة لإيجاد علاج للمرض الأزرق"

هز جوزيف رأسه باستنكار غير مصدق لما يسمعه ويراه، حينها تذكر حديث "بودير" حول أن كثيرًا من الجواسيس صاروا يحيطون بجوزيف ظنا منهم أنه ربما يريد استعادة الحكم من عمه وأولاده، وأن على جوزيف أن يزيد من احتراسه، لم يعر جوزيف حينها ذلك الحديث اهتماما، لكنه يرى الآن كم كان أخوه محقا..

"وأين هو دليلك أيها الحشرة؟!"

قالها "بودير" بحدة موجها قبضته بقوة لوجه الحارس الذي سقط أرضا متأوها إثر ذلك، ويبدو أن أنفه قد كُسر.

"ما الذي تفعله؟! هل جننت؟!"

صاح دومين في "بودير".

"هل تتهم أميرًا وابن عمك بسبب حديث حشرة كهذا؟! إن كنت أحمل سيفي لنحرت عنقه فورا"

"الزم حدودك يا "بودير"؛ فلست أنت من ستخبرني بما سأفعله!"

صاح دومين مجددا، أكمل دومين موجها حديثه لجوزيف:

"إذن يا جوزيف، هل هذا الحارس يقول الحقيقة؟!"

نظر جوزيف للحارس الذي بدت التوسلات في نظرته، فهو يدرك ما سيصيبه إذا أخبرهم جوزيف أنه يكذب.

"جوزيف أنت تعلم جيدا ما سيصيبه إن علمت أنه يكذب، سيتم إعدامه بميدان عام أمام جميع الناس ليعرفوا ما سيصيبهم إن حاولوا إيقاع الضغينة بين الأمراء والملوك، أو إفشاء معلومة مغلوطة تخص السحر" ربما هو يستحق ذلك لخيانته غير المبررة لأميره، فكر جوزيف، أكمل دومين:

"لكن إن كان هذا الحارس يكذب فقد تمادى؛ فهو يحاول إيقاع الضغينة بيننا نحن، ونحن في النهاية عائلة واحدة، لذلك أخبرني أنه كاذب وسأعدمه هو وعائلته بأكملها في الميدان العام؛ كي يصيروا عبرة لمن يحاول بث الوقيعة بين أبناء العائلة الواحدة، خاصة حينما يكونون من ذوي العيون الصفراء والحمراء مثلنا"

صُعق جوزيف لما سمعه، ماذا؟! لا يمكنه فعل ذلك! ما ذنب عائلة ذلك الحارس؟! تحدث جوزيف باستنكار:

"حتى إن أخبرتك أنه يكذب فلا ذنب لعائلته بكل ذلك!"

"كلا يا جوزيف، إننا ننبذ العنصرية يا ابن عمي، فأمثال هذا الحارس يريدون إيقاع الضغينة بين الشعبين بنشر مثل تلك الأكاذيب، خاصة لعلمه أن الملك بعيون صفراء وابن عمه بعيون حمراء، إنه لا يختلف كثيرا عن إخوة الظل الذين حوَّلوا الشعبين من إخوة لأعداء، كيف تظن أن كل ذلك بدأ؟! بأكاذيب صغيرة تتحول لمكائد تتحول لخيانات وتتحول لعداوة، ولن أسمح مطلقا بحدوث ذلك بسبب نابذي عنصرية مثل ذاك الحارس، يجب أن يرى الناس كمَّ المعاناة التي ستجنيها أفعال أمثاله! أم أنه صادق وأنت بالفعل استعنت بساحر يا جوزيف؟!"

شعر جوزيف بأنه تخشب مكانه غير مدركٍ لما عليه فعله.

"لا حاجة لكل ذلك؛ فالأمور واضحة، إنه ليس سوى حارس حثالة يكذب لتشويه صورة أميره فحسب"

نظر جوزيف جهة "بودير" المتحدث وهو غير مصدق لموقف أخيه، فجأة وجد جوزيف من يمسك بيديه، نظر جهة ذلك الشخص ليجده الحارس قد زحف حتى وصل لمقعد جوزيف وصار مواجها له أرضا، وأخذ يتوسل وعينيه مغرورقتين بالدموع والدماء تسيل من أنفه المكسور، بينما صوته يدل على كم الذل الذي يعانيه.

"سموك، أنا آسف، أنا آسف، سامحني على عدم حفظي أسرارك، أقسم لك أني لم أفعل ذلك سوى لمعرفتي بكم الدمار الذي قد يسببه السحر، أقسم لك، فأنا، أنا أعلم أنه تسبب بإيجاد المرايا العظيمة وإصابتنا بلعنة المرض الأزرق، أقسم لسموك، لقد حاولت إخبار سموك بصرف النظر عن فكرة إحضار ذلك الساحر مرارا، لكنك لم تصدق ما قد يسببه السحر من دمار وخراب، أرجوك سامحني سموك، فلتقتلني أنا، احرقني، افعلوا ما شئتم بي لكن، أرجوك ليس عائلتي، ابنتي لم تكمل السنتين وابني.. ابني بعمر الخامسة فحسب، أتوسل إليك يا سمو الأمير!"

حاول الحارس تقبيل يد جوزيف سريعا في ذل، لكن جوزيف أبعد يديه، ثم أكمل الحارس وقد صار ينوح:

"أتوسل إليك، أتوسل إليك!"

كان مظهر الحارس في قمة البؤس، ذكر كل ذلك جوزيف بمظهر تلك الفتاة، بما فعله لها "بودير"، ببكائها، وبما فعله عمه الملك الراحل لعائلتها حينما حاولوا الانتقام من "بودير"، ثم كيف انتهى الحال بتلك الفتاة، شانقه نفسها بحبل متدلٍّ من شجرة.

"إذن يا جوزيف أهو كاذب أم لا؟"

تساءل دومين، شعر جوزيف لوهلة أنه دار العالم بأكمله بأفكاره غير المتناهية حيال الفتاة ومصيرها، حيال الحارس وخيانته ومصيره، وحياله هو نفسه ومصيره، لكن على الرغم من ذلك، فلم تمرَّ سوى بضعة ثوانٍ حتى أجاب جوزيف:

"إنه غير كاذب."

"جوزيف، إنه كاذب، اللعنة! أخبرهم بذلك!"

صاح "بودير" بينما تحدثت دورسيرا لدومين:

"جلالة الملك قد يكون قرارك الحازم أثر على الأمير جوزيف، فجميعنا نعلم أنه لا يبغي الأذية لأي شخص"

"فلتصمتوا جميعكم!"

صاح دومين ثم وجه تساؤله لجوزيف:

"هل حقا تخبرني يا جوزيف أنك استعنت بالسحر لمحاولة علاج المرض الأزرق؟!"

لقد اختار جوزيف قراره، على الرغم مما فعله الحارس، إلا أن عائلته وأطفاله لا يستحقون ذلك العقاب، لكنه لن يدعهم يظنون أنه استعان بالسحر فحسب دون شرح الموضوع برمته، أجاب جوزيف:

"كلا يا جلالة الملك، أنا لم أستعن بالسحر، لقد استعنت بشخص علا صيته بأنه حكيم يشفي الأمراض، استعنت به كما استعنت بغيره من الحكماء والأطباء والعلماء الذين اشتهروا بالمعرفة وبعلاج الأمراض المختلفة، وما الفرق بينه وبين أي منهم؟! أي شخص منهم قد يتهمه بعضٌ بالدجل والسحر لمعرفته ببعض العلوم، ولا أرى اختلافا بين هذا الشخص وبينهم، فجميعهم استعنت بهم لأجل غرض واحد وهو علاج المرض الأزرق، الذي يسبب وفياتٍ لا حصر لها سنويا، الذي يسبب موت الأم والأب والابن والابنة والأخ والأخت والزوج والزوجة، لا يترك أحدا مطلقا، لا ندري من سنستيقظ غدا لنجده قد أُصيب بالفعل دون سبب ودون سابق إنذار، هذا ما فعلته يا مولاي هو أني استعنت بشخص لإيقاف كل ذلك للأبد!"

صمت دومين لوهله، ثم صاح مناديا الحراس آمرا إياهم بإخراج الحارس الليسي من القاعة ثم أردف:

"يا له من هدف نبيل يا جوزيف! حقا لا يستطيع أي شخص بهذه الغرفة إنكار ذلك، لكنك في النهاية استعنت بشخص أُشيع أنه يستخدم السحر الأسود، السحر الذي نعلم جميعا أنه محرم تماما في هذه الأراضي استعماله، أو الاستعانة به، أو حتى التفكير بذلك! لقد كنت على وشك معاقبة ذلك الحارس لظني أنه كاذب

يحاول بث العنصرية والضغينة، فماذا تظن حيال من قرر الاستعانة بالسحر، السحر الذي تسبب في إيجاد المرايا العظيمة التي تسببت بدورها في إيجاد المرض الأزرق؟!"

"لقد أخبرتك جلالة الملك بكل شيء بالفعل، ولن أحاول تبرير موقفي أو إيجاد حجج تدعمني؛ فتشهد الأعوام السابقة على ما فعلته من أجل المملكتين وشعبيهما ولأجل الملك الراحل والدك"

عمَّ الصمت قليلا ثم قال دومين:

"على الرغم من بشاعة ما اقترفته، إلا أنك لا تزال ابن عمي، وقد أوصاني والدي الراحل دوما بك وب"بودير"، لذلك لن أعدمك، لكن أراضي (ليس الكبرى) لن تكون تحت إمرتك بعد الآن، والجيش الخاص بها سيتم تسليمه لأخي "نايلس" بأقرب ما يمكن، وستعيش بأقصى أراضي الشرق الجنوبية كشخص من العامة، فلم تعد تنتمي للأسرة الملكية بعد فعلك المحرم هذا!"

لم يعد يهتم جوزيف حقا لأي شيء سوى إيجاد العلاج، صار كل شيء آخر بلا معنى حقا بالنسبة له، وإذا كان مازال قادرا على البحث عن علاج بذاك المكان، ومازالت جودي لجواره فلا بأس. استنكر "بودير" بصوت عالٍ غير مصدقٍ:

"ماذا؟!"

نظر جوزيف جهة كل من دومين ودورسيرا، كان دومين جديًّا تماما فيما قاله، بينما بدت دورسيرا مصدومة محاولة اخفاء ذلك والحفاظ على هدوئها، أردف دومين ل"بودير":

"كما سمعت تماما"

أعقب ذلك قول "بودير" بغضب:

"أنت تمزح! لا يمكنك فعل ذلك! لقد ظل أخي يحكم تلك البلاد سنين طويلة بكل ما أُوتي من قوة، وأفنى أكثر من عشرة أعوام في محاولة القضاء على ذلك المرض اللعين! لقد كونت أنا ذلك الجيش منذ أن كانوا أطفالا، وحرصت على أن يحصلوا على أفضل تدريب! ليس لك الحق بأخذ كل ذلك لأنك تشتبه أن أخي استعان بشخص تحوم حوله شائعات بكونه ساحرًا! لن أسمح لك!"

بدا الغضب كذلك في صوت دومين الذي أجابه:

"الزم حدودك، إنك تخاطب الملك، يمكنني حبسك أو إعدامك إثر ما تفعله الآن إن أردت"

هدأ دومين من روعه قليلا ثم أكمل:

"سأتناسى أسلوبك هذا فقط لأن والدي الملك الراحل لم يكن ليريدني أن أؤذيك"

"تؤذيني؟! أتعتقد أني.."

""بودير"، من فضلك!"

قاطعت دورسيرا "بودير" بنبرة عالية بعض الشيء، لكنها لم تكن بصرامتها المعتادة بل بدت قلقة، نظر لها "بودير" باستنكار:

"أكنتِ تعلمين بأمر ذلك القرار؟!"

لم تجبه دورسيرا، بل ظلت صامته تعلو وجهها نظرة جامدة، ولم تتفوه بشيء بينما دومين أجابه:

"أنا الملك، وتلك هي قراراتي، ولا يحق لأي شخص الاعتراض حيالها"

نظر دومين تجاه جوزيف مكملا:

"شيء آخر يا جوزيف، ما لدى المملكتين من المال يكفي لفعل أشياء أكثر أهمية من إنفاقه على البحث عن علاج لمرض ببساطة لا علاج له، كم من السنوات حاولت إنهاء المرض وفشلت؟ لن تظل المملكتين تعانيان بسبب أملك الوهمي بأنك ستمنع المرض من قتله الناس كما قتل طفلك"

شعر جوزيف بالصدمة للدرجة التي لم يدرِ بها أصدمته وألمه بسبب ذكر دومين لطفله الراحل بهذا الشكل؟! أم لعلمه بما سيقوله دومين حتميا الآن؟!

"ستتوقف تماما عن محاولات إيجاد علاج للمرض الأزرق!"

*****